

# الباب الثالث

## التحليل النفساني

### مركب النقص

يحسن بفا قبل الخوض في صميم موضوع التحليل النفساني أن نتناول بشيء من التفصيل موضوع مركب النقص لأهميته الكبرى كأقوى العوامل المسببة للأمراض النفسية والعصبية ، وكأول العوامل التي يسهى المحلل النفساني لاكتشافها وعلاجها ضمن مكبوتات العقل الباطن الأخرى ؛ فمركب النقص يلعب دوراً هاماً جداً في حياة المريض العصبي .

إن الشعور بالدونية أو بالنقص الذاتي لا يعتبر عقدة نفسية حقيقية ، إلا إذا كانت هنالك عاطفة قوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشعور النقص أو بالدونية . ولسكى تقرب إلى الأذهان مفزى هذا التعريف ، نضرب له مثلاً :

إذا شعر المرءوس بشعور النقص أو بالدونية أمام رئيسه ، أو بمعنى آخر : إذا شعر بتفاوت المركز وأفضلية الرئيس وميزته عليه ، وما يتمتع به من قوة وسلطة ، فلا يمكن الحكم في هذه الحالة على أن ما يبدو على هذا المرءوس من شعور ، أو ما قام في نفسه من أحاسيس ، هو مركب النقص حتماً .

أما إذا كلف الرئيس هذا المرءوس بمهمة لها ما يبررها ، أو طلب إليه

أداء عمل مشروع خال من غرض الاضطهاد أو التسف ، فثارت تائراً هذا المرءوس أو تولاه شعور بالانقباض ، أو رغبة في التمتع والمقاومة ، أو شعر بهجزه عن أداء هذا العمل مع بساطته ، ففي هذه الحالة تعتبر تصرفات وشعور المرءوس ، مركب نقص مثالي .

ويمكن حصر العوامل المسببة لتكوين مركب النقص في النقاط التالية :

أولاً — قد ينشأ مركب النقص في بعض الأحيان عن وجود تشويه أو عجز عضوي في الطفل ... وفي أغلب هذه الحالات ، يعوض أصحابها عن شعور النقص بإبراز قوة في ناحية أخرى لمعادلة هذا النقص ، وتجري عملية التعويض هذه دون وعي أو قصد . فهي من عنديات العقل الباطن .

ثانياً — وهناك حالات من حالات مركب النقص أكثر شيوعاً ، وأوسع انتشاراً من كل الحالات الأخرى التي ذكرت آنفاً ، والتي سيأتي الكلام عنها ، وهي تلك الحالات التي تنشأ عن سوء التربية النفسية للطفل بتوجيه عبارات الضعف والتهديد والإرهاب والتهكم والسخرية إليه ، مما يبعث في الطفل الشعور بنقص نفسه وضآلته بالنسبة للغير ، وعجزه الخاص ، وتعرضه لشتى الأخطار ومختلف التجارب القاسية لأتفه الأسباب ، فيشب الطفل هيباً جباناً عديم الثقة بنفسه غير مطمئن للحياة وعاجزاً عن مسيرة المجتمع ، ومواجهة حقائق الحياة ، فيحيا حياة ملؤها القلق والاضطراب والتشاؤم والنفور من المجتمع والتفكر له .

وقلما يعوض أصحاب هذا النوع من مركب النقص عما بهم ، وإن عوضوا عنه فعالباً ما يأتي تعويضهم في صورة مردولة لا يقبلها المجتمع ،

ولا يستسيغها . إذ يتحولون في تعويضهم إلى الطرف النقيض لشعورهم الذاتي ، فيظهرون في هيئة زائفة من العظمة والقوة والبأس . وهي حيلة خداعية من حيل العقل الباطن ، يقصد بها إبراز صورة النفس الحقيقية في هيئة مستترة تخفي بها معالم الحقيقة ... فبدلاً من ظهور أصحاب هذا النوع من مركب النقص في مظهرهم الحقيقي أمام المجتمع ، يندفعون بغير وعي وعن غير انتباه إلى محاولة التسيطر على المجتمع ، والتعسف مع من يعاشرونهم والتحكم في رقاب من يتصل بهم ، وفرض أوامرهم على الزملاء والأصدقاء والجيران وإشهارهم بتفوقهم عليهم ، ومعاملة من يتراسونهم بمفنتى الشدة والقسوة .

وغرضهم اللاواعي في ذلك ، هو إرغام الناس على قبول القيام بدورهم الأصلي ، ( دور أصحاب مركب النقص ) وهم في ذلك الوضع يلبسون أنفسهم شخصية آبائهم أو أولياء أمورهم أو معلمهم الذين قسوا عليهم في الصغر وسخروا منهم وفرضوا عليهم فروض الضعف والذل والعجز .

ثالثاً — تنشأ أسوأ حالات مركب النقص مما قد يلجسه الطفل من فوارق في معاملة الأهل له ولأخوته ، أو مما قد يشاهده من اختلاف بين معاملة الجيران لأولادهم ، ومعاملة أهله وذويه له ، أو مما يشمر به من تفضيل الغير عليه .

رابعاً — — وهنالك نوع آخر من مركب النقص ينشأ عن نمو الطفل جاهلاً لحقائق المسائل الجنسية .

وكتيراً ما تصادف هذا النوع في حالات العصبيين الذين يترددون

على مختلف العيادات ، فلا يجدون لأنفسهم علاجاً طبياً فيأجأون أخيراً إلى العلاج النفساني . . . فكم من شاب وشابة جاءتني وهي لا تدرك شيئاً البتة عن المسائل الجنسية . . . وفي معظم الأحيان كان مجرد شرح الحقائق الجنسية شرحاً صريحاً وواضحاً ، كافياً لتلطيف حالتهم وتهديده أعصابهم الثائرة . فهذه الحالات هيئة العلاج إلا إذا كانت قد وصلت إلى حالة معقدة .

خامساً — وهناك نوع آخر من أنواع مركب النقص ، واسكنه أندرها حدوثاً . . . وفي هذا النوع يتمثل مركب النقص في شعور بالخطيئة ، ويسمى في علم النفس Sense of guilt . وهو شعور ينشأ عن إتيان المرء أمورا تعد في عرف المحرمات . . . وسنتوسع قليلا في هذه الناحية في فصل خاص سميناه ، « إدانة النفس » سنذكره بعد الانتهاء من باب التحليل ، لما له من أهمية في بعض حالات المرض العصبي الذي يصيب الأشخاص أو يتأصل فيهم وهم في سن المراهقة أو بعدها .

ولأن مركب النقص هو كما قلنا من أكبر أعراض الأمراض العصبية والنفسية ، فسنفرد له صفحة علاجية زيادة على ما سبق أن بيناه من وسائل العلاج في الباب السالف وما سوف نبينه فيما بعد ، حتى يتسنى لكل إنسان علاج نفسه دون حاجة إلى عملية التحليل التي تتطلب إخصائيا مدربا واسع العلم والخبرة في العلوم النفسية .

## علاج مركب النقص

والآن . كيف يمكنك معالجة مركب النقص بنفسك ؟  
إنك تستطيع أن تفعل الشيء الكثير بمواجهته بنفسك دون حاجة  
إلى إجراء عملية التحليل الشاقة . . .

وأول ما يجب أن تعمله هو أن تبدأ في تكوين عادة التفكير  
الإيجابي المضاد لفكرة النقص والعجز ، ومضمون الدونية . فإذا ما طرأ على  
ذهنك أي فكرة تشعرك بالنقص الذاتي أو الخوف أو الفشل ، فاطردها  
في الحال من مخيلتك ، وأحل محلها فكرة القوة والمقدرة والاقدام  
والأمل والسعادة والنجاح .

فإذا ما ثارت على هذه القاعدة مدة كافية ، فسرعان ما تجد نفسك قد  
تحوّلت من إنسان ضعيف أو هزيل أو عاجز أو فاشل ، إلى إنسان قوى  
سليم قد ير كفاء للقيام بكل عمل ، قادر على اكتساب رغباته وتحقيق  
آماله ، وسرعان ما تجد أن شعور التشاؤم قد زال وحل محله شعور  
التفاؤل والأمل .

وبالإجمال ، فإنك ترى نفسك سائراً في الطريق المؤدى بك إلى  
النجاح والقوة والهدوء والاطمئنان . . . ولكن اذكر أنه يتحتم عليك  
المثابرة على مهاجمة الأفكار السلبية بأفكار إيجابية عمرانية .

وأنكر على نفسك كل نقص ، ولا تصغ إلى محدث يحدثك عن  
الضعف ، ولا تهتم لساخراً أو متهمك ، بل اتخذ من سخرية الغير حافزاً لك  
على الوثوب إلى العلى .

وحدد لنفسك الهدف الذي تصبو إليه واسع في الوصول إليه ، وأنت ممتلئ ثقة وأملاً . . وإذا اعترتك الوسوس والشكوك ، فقابلها في الحال بقوة إيجابية من أفكار مضادة ، ولا تحجم عن مباشرة الناس والتحدث إليهم ، ومشاركتهم في الآراء والتعاون معهم على حل معضلات الحياة . ولا تتهيب كبيراً أو عظيماً مهما كان مركزه ، ذاكراً أنه إنسان مثلك ، وربما بل من المحتمل جداً أنه لا يخلو من عيوب خفية عليك .  
والآن فلننتقل إلى صميم موضوع التحليل النفساني . وسيجد القارئ فيه ما يلقي ضوءاً أقوى على ما مر به .

إن النظرية التي بنى عليها التحليل النفساني هي أن في ذات كل إنسان قوة خفية ، أو بمعنى آخر ، دافعاً باطنياً . ويسمى في علم النفس بالليبيد Libido ، وهذه القوة الباطنية دائبة السعي للانطلاق في حرية تامة وفي كفاح ونضال مستمر لا إيجاد منفذ تنفذ منه .

ومقر هذه القوة الباطنية أو الليبيد هو العقل الباطن . ولو ذكرنا كيف أن العقل الباطن هو مصدر تسعة أعشار عقليتنا ونفسيتنا وحالاتنا ، على أقل تقدير ، كما هو مسلم به من جميع العلماء والباحثين ، لأدركنا سبب مأساة المجتمع في حالته العلمية الراهنة وفساد أساليب التعليم والثقافة في مختلف المدارس والمعاهد من روضة الأطفال إلى الكليات والجامعات . . . فجلب اهتمام المدارس في جميع مراحل التعليم منصرف إلى تربية وتهذيب وإتقان قوى العقل الواعي ، دون أن تعير العقل الباطن أي اهتمام ، اللهم إلا في ناحية الحفظ والاستذكار واختزان المعلومات ، وتكوين العادات الثانوية . . .

فلم تعن المدارس والمعاهد يوماً بوضع النظم والقواعد لتدريب وإتمام قوى العقل الباطن وتهذيبه ، مع ماله من أهمية كبرى وأثر فعال في حياة الإنسانية ومستقبلها .

ويقينا أنه بإبدال أساليب التربية العتيقة وإحلال التربية الحديثة المنصبة على العقل الباطن والمعنية به أكثر من عنايتها بالعقل الواعي . . . لا بد أن ينجم عن مثل هذا التغيير خروج نشء فذ وسلالة جبارة العقل والنفس ومتمتعة بالكمال المثالي في جميع نواحي الحياة .

ولو حاول امرؤ تربية طفل من أول نشأته على أساس تهذيب واستعمال واستغلال وإتمام العقل الباطن والاعتماد عليه ، لقد هذا الطفل أمجوبة زمانه قوة ومقدرة وحكمة ونبوغاً وكمالاً ، لا يعرف ضعفاً أو مرضاً أو فشلاً أو عجزاً .

### اللبيد

ولقد اختلف أقطاب علم النفس في تحديد ماهية اللبيد ومضموناته ووجهاته ، بعد أن سلم الجميع بأنها قوة باطنية تسمى الانطلاق والتعبير عن نفسها وبلوغ أهدافها في حرية مطلقة كذلك الحرية التي كانت للانسان الفطري قبل أن تفرض المدنية فروضها وقبل أن تسن شرائعها ونظمها ، وتحد من حرية الإنسان المطلقة .

وقد حدد فرويد Freud وهو طبيب نمساوي إخصائى في الأمراض

العصبية والعقلية ، وأول من وضع علم النفس والتحليل النفساني بعد أن تحقق من عدم صلاحية الطب البشري في علاج الأمراض العقلية والعصبية التي احترفها وكان فيها من أساطين الطب .

فوصل بعد مجهود عنيف وسنوات عدة وحنكة واسعة إلى اكتشاف مصدر وأساس هذه الأمراض ، وانتهى من دراساته لها بإخراج علم النفس . قد حدد هذا النايفة « اللبيد » بالدافع الجنسي ، وقرر بأن جميع الأمراض العصبية والنفسية تنشأ عما يصادف هذا الدافع الجنسي من تنازع في باكورة حياة الطفل . . وعلى هذا الأساس كان كل اهتمام فرويد وأتباعه موجهاً لاقتفاء أثر الحياة الجنسية ابتداءً من أول مراحل الطفولة ، وكانت وسائل التحليل النفساني معنية بالبحث في هذا النطاق . ثم جاء بعد ذلك يونج Jung . وهو أحد زملاء فرويد ومساعدته الأول ، وحدد اللبيد بأنه هو « دافع الذاتية » ، وهو يتضمن مجموع رغبات الفرد وميوله المتوثبة للانطلاق واسترداد كامل حريتها للتعبير عن نفسها وتقضى موضوع الرغبة . وقال إن الدافع الجنسي هو أحد هذه الدوافع ، ولكنه ليس بالوحيد . . وعلى هذا الأساس سار يونج وأتباعه في معالجة مرضاهم . فكانوا يبحثون عن كل رغبة مكبوتة وكل غرض لم يحقق ، وكل أمر صادف تنازعا .

أما أدلر Adler وهو ثالث زملاء فرويد ، وأحد الذين شاركوه وعاونوه في أبحاثه ، فقد حدد اللبيد « بالظموح الذاتي » ، ويعنى بذلك ، الدافع الباطني الراغب في السمو . . وهو يعتقد أن خيبة هذا الدافع في

الوصول إلى الهدف المنشود هو السبب في الأمراض العصبية والنفسية .  
وهو في هذا الرأي وبهذا التعريف يتفق كثيراً مع نظرية يونج .

## التنازع

وعلى كل حال ، علينا عند الشروع في إجراء عملية التحليل النفساني أن نفرض وجود تنازع ما ، سواء كان وفقاً لنظرية فرويد أو نظرية يونج أو نظرية أدلر . فلكل من هذه النظريات قيمتها ، ولا يمكن إغفال واحدة أو تفضيلها .

وقد قلنا فيما سلف ، إن العقل الباطن هو مستودع جميع الغرائز السلافية أو بمعنى آخر ، هو مخزن جميع رغبات وميول ونشاط البشرية منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا . . . أعني أن بجانب غرائز السلالة ، توجد أيضاً ميولنا الخاصة مخزنة في العقل الباطن .

وإذا نحن سلمنا بنظرية النشوء والارتقاء كما هو مسلم بها من جميع علماء العالم ، كان علينا أن نعتبر الغرائز السلافية المخزنة في العقل الباطن كأنها ليست هي غرائز الإنسان الفطري فحسب ، بل كل ما مر بالحياة في جميع مراحل التطور من ميول ورغبات — ابتداء من مرحلة الحيوان — وهي ميول ورغبات كبتت واستقرت في العقل الباطن بما أملاه المجتمع وفرضه في كل جيل وفي كل مرحلة من مراحل التطور .

والآن ، فإن فوق هذا العقل الباطن بميوله المتحفزة للانطلاق في حرية تامة والخروج من معقلها إلى جميع النواحي ، جنسية كانت أو غير

جنسية ، فوق هذا العقل الباطن يقف حاكم شديد وقاس ، هو العقل الواعي مسلحاً بمقائمه الدينية وآرائه الاجتماعية وفروضه وشرائعه التي أورثها إياه المجتمع ، يقف هذا العقل الواعي مراقباً ومتر بصاً لحركات العقل الباطن الفطري النزعة غير المروض ترويض العقل الواعي .

ففي العقل الباطن قوة تسمى للحصول على أمر بالإفراج . وفي العقل الواعي سلطة وقوة تحول بينه وبين نوال مشتهاه ، قوة تدفع به إلى سجنه وتحرم عليه إخراج شيء من رغباته ... ومن هنا ينشأ التنازع النفساني ، فالليبد هو إذن ، مجرد الرغبة الباطنية التي تناضل في سبيل الحرية وتلح في طلب الإفراج وتكافح لنيل العفو وتحقيق موضوع الرغبة وتأدية رسالتها . ولكنها عاجزة عن ذلك بما للعقل الواعي من سلطة المنع والتحرير التي استمدتها من المجتمع .

وليس يهمننا قط أن تكون هذه الرغبة الباطنية هي عند حد تعريف فرويد أو يونج أو أدلر . . إنما الذي يهمننا معرفته هو وجود رغبة ما تتطلب الحرية وتسعى إليها بكل قواها ولا تمل في سعيها وكفاحها .

### الاضطرابات العصبية

إذا حاولنا حبس طاقة طبيعية ، كطاقة البخار مثلاً في إناء ، بحيث البخار عن منفذ يخرج منه ، فإذا لم يجد أمامه منفذاً طبيعياً يتسرب منه هشم الإناء الذي يحبسه ويخرج في دوى عظيم مندفعاً ودافماً أمامه كل ما يعترضه .

هكذا الأمر حيال التنازع والقوة المسكوتة بضغط العقل الواعي المنفذ لأحكام المجتمع ، فهي إذا لم تجد أمامها منفذاً تنفذ منه ، ثارت ثورتها وانفجرت في هيئة اضطرابات عصبية .

ومن المعلوم تماماً أن جميع الاضطرابات العصبية مصدرها كبت الميول والنزعات ، ويندر جداً أن يكون مصدرها أمراضاً عضوية .

ولقد قام كبار الأطباء بمختلف التجارب والأبحاث الدقيقة على جميع الأجهزة العصبية ، فأسفرت تجاربهم وامتحاناتهم للأعصاب على أن هذه الأعصاب غير عرضة لأي اختلال عضوي أو قلف ، ولقد حصروا أبحاثهم الطويلة في أعصاب المصابين بأمراض عصبية خفيفة أو مستعصية ، فلم يجدوا أي أثر عضوي يشير إلى مرضها أو أي دليل على مرض هذه الأعصاب . ولقد ثبت قطعاً بأن ٩٨ ٪ على الأقل من الأمراض العصبية ترجع إلى الحالة النفسية أو العقلية .

ويزعم فرويد بأن مصدر جميع الأمراض العصبية هي بعض صعوبات أو شذوذ في الحياة الجنسية أو وجود كبت قوى للنزعات الجنسية . . ولم تصادف هذه النظرية قبولا إجماعيا ، بل لاقت مناهضة واسعة لأنها حيرت ولم ترض هؤلاء الذين يفضون أن يظلوا عصبين :

ولقد صرح فرويد بأن اللبید قد حرمت عليه الحرية وتعمقت به المدنية وسدت في وجهه الطرق والمنافذ . . . ولقد ادعى خصوم فرويد ومناهضوه بأنه دافع عن حرية الميول الجنسية ونادى بإباحتها . وهو ادعاء مدسوس عليه أو أن قائله لم يفهموا جيداً عبارات فرويد ونظرياته .

ويؤلمنى جداً أن أذكر هنا ماجاء إلى علمى بأن بعض المحللين النفسيين الذين يتبعون فى علاجاتهم مذهب فرويد ووسائله العلاجية . يبيحون لمرضاهم مطلق الحرية فى الناحية الجنسية ظناً منهم بأن فرويد نصح بذلك وأباحه لمرضاه أو نادى بإباحته إباحتة مطلقة .

إن فرويد لم يكن يوماً ما مدافعاً أو مطالباً بإباحتة العملية الجنسية أو إطلاق الحرية لها كما يزعم الجهال ويذيعون ، وكل ما نادى به فرويد ونصح هو بالامتناع عن كبت الغريزة بالعنف والقوة لما فى الكبت من عواقب وخيمة ، وطالب غير القادرين على إشباع الرغبة بالوسائل المشروعة أعنى بالزواج ، أن يعملوا على السمو بالدافع الجنسى بتوجيه قوته ونشاطه إلى النواحي الاجتماعية المشروعة ، ووضع لذلك نظريته المعروفة وهى نظرية « التسامى » Sublimation .

إن الغريزة التناسلية ماثلة فى كل إنسان عادى بقوة وقدرة كبيرة ، فهى العامل الأساسى فى حياة البشرية وحفظ النوع ، ولولا وجود هذه الغريزة فى الإنسان لتعرضت الحياة البشرية للانقراض السريع . فكبتها الذى ينصح فرويد بتجنبه معناه إضعافها وانهزامها وانحلالها أخيراً ، والقضاء بذلك على قوة التناسل علاوة على ما يصيب الإنسانية من آلام واضطرابات مفرجة بسبب الكبت لقوة هى أساس الحياة .

إن واجبنا الوحيد إزاء المسألة الجنسية ، هو الإقلاع عن التمسك بالتقاليد البالية المجردة من معنى التعقل واتساع المدارك ، تلك التقاليد التى لا يمكن أن تؤدى إلا إلى خلق نسل هزيل وضعيف .

يجب أن نكف عن توجيه عبارات اللوم والتأنيب لأطفالنا ، ومنعهم من الإشارة إلى أو التحدث عن الأعضاء التناسلية أو المسائل الجنسية . يجب أن نمتنع عن كلمة « عيب يا ولد واختشى يا بنت يا قليلة الأدب » ، يجب أن ننجم عن تخويف الجنسين من بعضهما وتحذيرهما من المصاحبة والاختلاط ، بل يجب علينا أن نشرح ونبين لهما المسائل الجنسية شرحاً عامياً طبيعياً ليشب الطفل وهو مدرك لأعراض ووظائف الأعضاء التناسلية ومستعد للعمل بموجبها في وضعها الصحيح ، فإن الطفل إذا تشبع من صفه بمعرفة مهمة ووظيفة أعضاء التناسل والقوة الجنسية وأدركها في صراحة تامة ووضوح جلي ، أصبح في غير حاجة — عندما يكبر — إلى الاستقصاء الذي كثيراً ما يقوده إلى الاندفاع في التيار الجنسي أو الانحراف أو الشذوذ ، واحتفظ بقواه الجنسية لاستعمالها في حينها ووضعها الخاص حسبما تشبع به في الصغر .

أما هؤلاء القوم المتعصبون الذين ينظرون إلى المسائل الجنسية نظرة استهجان وازدراء ، ويعتبرونها قذارة ورذيلة لا يجب التحدث إلى الطفل عنها أو حتى السماح له بالإشارة إليها ، فقد وصلوا هم أنفسهم إلى نهاية محزنة ولم يتركوا في الحياة سوى آثار الضعف والجهل والمرض ، ولم ينتجوا سوى نسل هو المثل الأدنى للإنسانية .

### العصبي

تطلق كلمة عصبي على كل شخص يشكو اضطرابات عصبية أو على أى شخص تبدو عليه أعراض الاضطرابات العصبية في هيئة ما أو في

ظرف ما . . . ولو توخينا الحقيقة لوجدنا أنه ما من شخص يخلو من عقدة نفسية تجعله على شيء من العصبية ، ولو أن آثارها قد لا يراها غير المحنكين . . . وأما إذا صادفنا إنساناً خالياً خالوا تماماً من أى عقدة عصبية أو أعراض عصبية ، فيجب أن نعدّه فلتة نادرة ، قد تربى أوربى نفسه تربية نفسية أو روحية عالية .

ويمكن القول بأن كل الناس عصبيون ، ولسكننا في الواقع لانعمت بهذا النعت سوى الأشخاص الكثيرى العقد النفسية ، الذين تبدو عليهم أعراض الأمراض العصبية في وضوح وجللاء .

ومن وراء كل حركة عصبية يوجد سبب أو دافع لها كما من في العقل الباطن . . . وعلينا أن نعتبر منشأ هذا السبب أو الدافع على الحركة العصبية أو المرض العصبي ، هو هذا التنازع القائم بين اللبىد الساعى فى التحرر من أغلاله ، والانطلاق فى أثر رغباته وبين قوى العقل الواعى الخاهدة لأنفاسه والحائلة دون حرىته تنفيذاً لأحكام المجتمع .

إن معظم العقد النفسية تتكون فى السنين الأولى من حياة الإنسان . ويتكفنا أن نقرر ، ونحن على تمام الثقة وبتىر سبالغة ، أن معظم ما يصيب البالغين من شذوذ جنسى أو مرض عصبى ، إنما يرجع إلى ما سب بهم من كبت فى مراحل الطفولة .

أما أحداث الأمس أو ظروف الشهر الماضى أو العام المنصرم فلبس لها أهمية تذكر فى حالات الإنسان العصبية ، بل وإن منشأ العلة هى تلك الأحداث التى نسيت نسياناً تاماً ، والتى صرت بالمرء فى طفولته .

## الكبت

ويجدر بنا أن نوضح هنا معنى الكبت والمقصود به تماماً . فلقد أخطأ الكثيرون فهم معنى الكبت ، وذهبوا إلى الاعتقاد بأن مجرد انصراف الإنسان عن تأدية مطالب الفريزة يعد كبتاً . وهذا خطأ . إفا لكبت لا يتأتى ولا يعد كبتاً إلا إذا هوجم الدافع الفريزي بعنف وعن قصد . فمثلاً قد تقوم في الإنسان رغبة جنسية ، ويشعر بميل شديد إلى ممارسة العملية الجنسية ، فيفكر في الموضوع ملياً ويحسب له ألف حساب ، ثم يقرر أخيراً وجوب الامتناع عن ممارسة هذه العملية لما لها من عواقب وخيمة أو لما فيها من خطيئة ورذيلة ، ويستعين على إطفاء جذوة الدافع بوسائل اصطناعية ، ويظل متمنياً وفي ذات الوقت متمنعاً أو متمنعاً مع التني .

في هذه الحالة يكون الإنسان كابتاً للفريزة ، على حين لو أن هذا الإنسان كان في الأصل منصرفاً إلى التفكير في نواح عمرانية وشاغلاً نفسه في الحياة الاجتماعية والعملية غير شاعر أو مهال بما قد يقوم في نفسه من رغبة جنسية بين حين وحين مستنفلاً بذلك قوة الدافع غير المرغوب فيه حالياً في النواحي الاجتماعية الأخرى . لما عد هذا كبتاً بل هذا هو التسامح .

فمن أراد مواجهة الدوافع المتطرفة مواجهة سليمة خالية من معنى الكبت ، فليصرف عن التفكير في موضوع هذا الدافع المراد تأجيله أو تبديله ، وليشغل نفسه بالتفكير أو بالعمل في نواح مجدية .

## أعراض المرض العصبي

وأهم أعراض المرض العصبي هي :

أولاً - بعض اضطرابات أو شذوذ في الحياة الجنسية ، وهي أعراض قلما يخلو منها أى عصبي .

ثانياً - مركب النقص ، وهو من أهم خواص العصبيين ، فسكل مريض عصبي يشعر في أعماق نفسه بشعور العجز أو النقص أو الدونية من أى نوع .

ثالثاً - قلق مستمر . . فالعصبي دائم الاضطراب المتمثل في حركاته السريعة غير المتزنة . . وهو إما متخلل بيده شعره أو لاعب في أنفه أو هاز لرجله أو محرك ليدته أو أصابعه أو متمشٍ في الغرفة جيئة وذهاباً ، إلى غير ذلك من الحركات الجسمانية الدالة على اضطراب النفس .

رابعاً - حزن وكآبة ، فالمرضى العصبي ميال للحزن لا تؤثر فيه المبهجات ولا تغير منه المسرات .

خامساً - كثرة النقد والحصام ، فهو يهتم جداً للبحث عن نقط ضعف. وغيوب الغير ، ويلذ له أن يكشف عن أسرار الغير ويفضح أعمالهم ، وهذا يؤدي إلى الخصومة والمعاداة . . . وهذه الأعراض تنجم عن وجود مركب النقص .

سادساً - أما سادس خواص العصبي ، وهي أيضاً من أهم سميات جميع العصبيين ، فهي الهروب من الحياة . فالعصبي يحاول الهروب من مواجهة الحقائق والتخلص من مسئوليات الحياة ، ويفضل الاتجاه إلى

الفواحي الأنانية ، فالحياة لديه أرض وعرة المسالك كثيرة العقبات متشعبة المتاعب ؛ وعرضاً عن محاولته سلوكها ببذل الجهود واتباع الوسائل الطبيعية التي يتبعها كل الناس أو يستعينون بها ، فهو يعمد إلى عالم الخيال والأوهام ليجد فيه ملجأ أميناً يقيه شر متاعب الحياة ، ويؤهل الحياة سعيدة هائلة وصريحة لا جهد فيها ولا عناء .

ويزعم البعض بأن معظم العصبيين مجرمون ، وهذا زعم باطل ، والحقيقة هي أن معظم المجرمين عصبيون ، فخلهم ذوو ميول عصبية لأنهم يستصعبون الحياة بما تتطلبه من كفاح ونضال في حين أنهم يستطيعون بشيء قليل أو كثير من السهولة الحصول على ما يرغبون دون بذل مجهود على شاق .

ويهانى المجرمون — بحكم نشأتهم — مركب النقص ، إذ أن المجرمين غالباً ما يكونون من طبقة الفقراء الذين ينظرون إلى الثرى نظرة إكبار وتعظيم ، فلم يدركوا أن الفنى الحقيقي الذى يستحق التقدير ويستوجب الحسد هو غنى العقل والشخصية والأخلاق . . ولم يصل إلى علمهم أن الإنسان الأرستقراطى الحقيقي — رجلاً كان أو سيده — هو ذلك الشخص الذى يحيا حياة ملؤها احترام الذات وثقة النفس وعلو الشامل ومحبة أخيه الإنسان وخدمة المجتمع . . . وكل ما يدركونه ويتقبلونه كحقائق لا نقض فيها ولا إبرام ، هو ذلك الرأى الزائف ، رأى الجهلة الضعفاء الذين يقيسون عظمة الإنسان وقدره بما يملك من مال وحطام .

إن كل إنسان طبيعى يفكر فى الأعمال والاتجاهات التى تصلح

ويصلح هو لها ، ويفكر في الوسائل الطبيعية التي يستطيع بها تأدية هذه الأعمال على الوجه الأكمل ، حتى تعود عليه بأكبر قسط من الجزاء العادل ، فيضع الخطط ويعين الاتجاهات ويوالي الجهد والكفاح ، ويشابر على بذل الجهود حتى لو أدرك أنه لن يبلغ غايته أو يصل إلى هدفه إلا بعد عشرات السنين من كفاح متواصل ودراسات مضنية .

أما الشخص العصبي فهو يستطول المدة ويستصعب الجهود والكفاح وطول الطريق ، فيحاول اختصاره واختراقه من الجور مستعينا بأجنحة الخيال والأوهام ، فيتخلى عن السير على الأقدام وهي حركة بطيئة ومتعبة ويقنع بما يعينه به الخيال الباطل ، أو بما تدفعه إليه الأوهام وتصوره له الأحلام ، فيستهين بالأحجية والتماويز والسحر والجن على قضاء حاجاته وتحقيق مطالبه ، أو يقدم مثلاً على اقتراض بضع مئات أو ألوف من الجنيهات من الخزانة التي في عهده لينزل بها إلى الأسواق مزارباً أو مغامراً عساه يظفر بصفقات كبيرة تسرع إليه بالثراء والجاه ، فتوزر عليه عناء الأعمال وطول الانتظار ومواصلة الكفاح ... وإذا بالسلفة المؤقتة تتبخر منه بين عشية وضحاها ، ويخرج من الأسواق جفراً اليدين ويفتضح أمره ، فلا تعتبرها الحكومة سلفة من غير سابق إصرار . ولكن تسميها سرقة واختلاساً تتودعه من أجلها السجن ، مع أن المسكين كان خالي الذهن من فكرة السرقة ، ولم يك هو بالشخص الذي يجرد على مديده إلى درهم لا ينقصه ، وكل ما في الأمر أنه تخيل أن في مقدوره إتيان العجائب ، بهروبه من مواجهة الحقائق .

إن الناس العاديين لا يجرؤون على التسلل إلى بيوت الأثرياء ليلا ليستولوا على ما يفتنهم أو يسد مطالبهم ، لأنهم يرون في هذا السلوك مضيعة للشرف والوقار ، ويرون فيه مخالفة للضمان واغتصابا لحقوق الغير ، ويرون فوق ذلك أن هذا التسلل أو بمعنى آخر السطو على الغير ، هو عمل شاق جداً ويتطلب استعداداً خاصاً وكفاحاً وقتلاً ، بينما لا يرى العصبيون شيئاً من ذلك ، فهم لا ينظرون إلا إلى ناحية واحدة ، هي سرعة الغنى بغير عناء .

### التعويض

قد أشرنا في باب مركب النقص عن التعويض ، ولا بأس من إعادة توضيحه هنا لما له من أهمية في صميم موضوع التحليل النفساني .  
التعويض عند العصبي هو انتحال نصيلة يعادل بها رذيلة ، أو انتحال قوة يعادل بها نقصا .

ولسكى أقرب موضوع التعويض إلى الأذهان ، فإني أعرض على القارئ إحدى الحالات التي عالجتها وفيها يتمثل التعويض بأجلى مظاهره .  
جاءتني شابة متزوجة تشكو اضطرابات عصبية ، وبسؤالها عن حياتها الزوجية اتضح لي أنها في نزاع دائم مع زوجها ، ولما استوضحنا أسباب النزاع علمت بأن زوجها يهملها إهمالاً تاماً ، في حين أنه كثير السهر وراء النساء وله منهن أكثر من واحدة يومياً يتولى أمر تزيئها والإغداق عليها وتمضية كل الأوقات معها ، فلا يدخل منزله إلا في آخر الليل ثملاً ومثامراً .

فطلبت إليها مقابلي بزوجها لأنه هو الأحق منها بالعلاج قبلها... وبالقول  
تقابلت معه واستدرجته في الحديث إلى أن تأكدت من صدق ظني ،  
وعلمت بأن هذا الزوج المستهتر الذي لاهم له سوى معاكسة السيدات  
ومغازلتهم واصطعابهن إلى دور اللهو والمنزهات بحيل واسعة وفي  
جرأة كبيرة لا يقدم عليها إنسان عادي متزن ، مصاب بالضعف الجنسي  
عامة والعنة خاصة ، فهو لا يستطيع إثبات العملية الجنسية إلا نادراً جداً ،  
وإذا أتاه مرة فسرعان ما ينتهي بالقذف قبل الإيلاج .

هذا هو التعويض ؛ فقد عوض عن ضعفه بانتحال مظاهر الرجل  
الكامل القوة الجنسية أو القادر على حياة الشرة الجنسي الذي لا تشبهه  
زوجة ولا تكفيه امرأة واحدة... ولقد توهم كل من عرفه بأنه رجل  
لا يضارب في المضار الجنسي بما يبيديه من خلاعة وجسرة وقوة حديث  
وادعاء غير مكشوف بطلانه إلا لمن سايره حتى النهاية... هذا كان  
تعويضه في الطريق وخارج نطاق المنزل . أما داخل المنزل فكان تعويضه  
عن نقص الرجولة هو فيما كان يبيديه من شدة وقسوة وتسف ، وهي  
مظاهر أو خصائص الرجل القوي في هيئة متطرفة ، كي يكون التعويض  
واضحاً وبارزاً أمام زوجة نامست موضع النقص ، ولو في صورة مبهمه عندها .  
فشكل إنسان متطرف في الأخلاق والعواطف ، يشير إلى ماخفي في  
نفسه من نقص ويشير إلى ما به من مرض عصبي .

والواقع أننا إذا نظرنا إلى جميع الاضطرابات العصبية بمختلف هيئاتها  
لوجدناها جميعاً عبارة عن تعويض أو في حكم التعويض . إذ نرى أن  
العقل الباطل قد استنبط وسائل غير طبيعية تؤهل أصحابها للفوز بميزات

خاصة لا يتمتع بها أصلاً إذا ظهر في صورة الإنسان السليم مع وجود عوامل  
سركب النقص والميول المسكوتة .

وأهم الميزات التي تعود على المريض العصبي من اتخاذ صورة  
المريض هي :

أولاً — تسمح حالة المريض لصاحبها باتخاذ أقرب الطرق وأقلها عناء  
للوصول إلى أهدافه . . فجل العصبيين ينتحل لهم عقلهم الباطن (المرض)  
لأنه يسهل لهم الفوز بالعطف والملاطفة والمواساة والعناية التي يتعطشون لها  
ويتلهفون عليها . . فإذا لم يفز العصبي بالرعاية وإجابة مطالبه — وهو  
دائم التطرف والمغالاة في طلب العطف والإشفاق والرغبة في أن تجيب  
مطالبه سريعاً — فهو يلجأ إلى المرض يستعين به على قضاء مطالبه  
وإرغام الناس على مساعدته وملاطفته ، وكل هذا دون وعى منه طبيعياً  
وعن غير قصد .

ولقد يكون من العسير جداً على هواة علم النفس أو المبتدئين فيه ،  
إدراك كيف أن العقل الباطن يحقق رغبته مستعيناً بالعوامل التي يعرف  
ويثق من صلاحيتها ونفعها كسلاح قوى يحقق به النصر لصاحبه غير  
مراعٍ نوع هذا السلاح البغيض الذي يستعين به لنصرة صاحبه . على حين  
أن رغبات الشخص لم تتحقق بوسائل أخرى :

ثانياً — والميزة الثانية هي في أن مرضه هو بمثابة سلاح قوى يشد  
من أزره ويعطيه سلطاناً فوق الناس ، فيتحكم فيهم ويهددهم به بغض  
النظر عن مخالفته للقوانين الطبيعية بشهر هذا السلاح في وجوههم . . .

وهذا هو ما دعانا إلى مطالبة الأهل بوجود الامتناع عن تلبية مطالب الطفل ، أو تنفيذ رغباته التي يطلبها صرخاً أو باكياً ؛ فالطفل الذي تلجى مطالبه مجرد عويله وصراخه ، يكتشف بعقله الباطن وسيلة فعالة للتحكم وفرض الإرادة وإرغام الغير على طاعته ، والإذعان لرغباته ومشئته ، فيلجأ إلى الاستعانة بهذه الوسيلة ، كلما تتطلب الأمر الاستعانة بها ، حتى تتأصل العادة وتتمكن من العقل الباطن ، فيشب الطفل متشبهاً بها ، حتى إذا ما صادفه مطلب لم ينفذ في الحال أو رغبة لم تتحقق ، قام العقل الباطن الحافظ للوسيلة الفعالة التي استخلصها في الصغر وعمل بموجبها ، فأجأ صاحبه إلى استعانة بها ودفن به إلى الصراخ والفضب أو الوقوع في صرض الهستيريا ، ليجذب إليه عطف الأصدقاء والأقارب والزملاء فيحققون له ما ربه شفقة به ، ويسعون إلى تهدئته وتدليله .

ثالثاً — والميزة الثالثة هي أن العلة تحمي صاحبها من سخرية الناس وتهكمهم عليه في حالات فشله ، ( وهذا هو إخراج لمركب الفقص ) . قال شخص العصبي يشعر في ذاته بعجزه أو دونيته ، فهو لذلك فاضل وخائب لا حول له ولا قوة ، ولذا فهو يبالغ في حقيقة ضعفه ويحتمى وراء المرض فيعذر الناس ويرثون لحاله ، ولا يرمونه بالخيبة أو الفباوة أو الكسل ، طالما كان عليلاً أو سقيماً لا ذنب له ولا جريرة .

رابعاً — الميزة الرابعة ، هي أن العلة تضمن لصاحبها نبيل الفخر واكتساب المدح والإعجاب بأي شيء يحسن إنتاجه أو يتقن صنعه . . . . .  
فبالرغم مما به من علة أمكنه أن يؤدي عملاً له قيمته ، فاستحق بذلك

أكبر الفخر الذي لا يناله إنسان سليم يؤدي أحسن مما يؤديه هو ويخرج أفضل مما يخرج .

## التجاح والاضطراب العصبي

أود قبل الدخول في موضوع ممارسة التحليل النفساني أن أشير إلى حالة خاصة من حالات الأمراض العصبية لما يبدو فيها من غرابة قد تدعو الطبيب النفساني إلى الحيرة والوقوف ، مكتوف الأيدي أمام مريضه . . . وهي الحالة التي يصاب فيها الإنسان باضطرابات عصبية عقب نواله مآربا ، كان يرغب فيه رغبة قوية أو عقب وصوله إلى غاية كان لا يأمل في اكتسابها ، فيبدو وكأنه لا طاقة له على احتمال النعمة التي حلت به والسعادة التي سعت إليه . . . فمثل هذه الظاهرة المعكوسة النتائج تجعلنا نقف مذهولين أمام انقلاب الأوضاع ، ولكننا لو أمعنا الفكر قليلا لزلت دهشتنا واملنا أن السبب في ذلك يرجع إلى أن المريض كان تواقا إلى هذا الذي تحقق له ، ولكنه كان في نفس الوقت مستبعدا لتحقيقه ، أو بمعنى أوضح : كان يشعر في نفسه بأنه غير أهل لهذه النعمة . . . فلقد أدان هذا الشخص نفسه في الماضي على ما أقدم عليه من أعمال وتصرفات تتنافى مع مطالب المجتمع وأوامر الدين ، أعمال تستحق العقاب الذي اعتاد أن يوعده به أو ينزله الأهل والمعلمون ورجال الدين . فشعر — واعيا أو لاواع — بأنه مستحق للعقاب على ما أتاه ، وأنه سينال عقابه حتما ، وفقا لما طبع في عقله الباطن . . . فينشأ عن ذلك تلك العقدة النفسية

المسماة « الشعور بالخطيئة » التي يشعر معها باستحقاقه لعنة والحرامان من كل نعمة لأنه انتهك حرمة الدين وخالف أوامر المجتمع وشرائعه .  
فاذا تحققت لهذا الإنسان رغبة مسعدة . تولاه اضطراب شديد لتناقض ما حدث وتم بالفعل مع ما هو متأصل في العقل الباطن من ترقب للعقاب واستحقاق للعذاب .  
وسيجد القارئ ما يتم هذا البحث في فصل إدانة النفس الذي سنذكره فيما بعد .

## ممارسة التحليل النفساني

### شروط التحليل

يجب أن يكون المحلل في أثناء عملية التحليل متيقظا تمام اليقظة لكل كلمة وحركة وإيماءة تصدر من المريض . وأن يكون متبالكا لهواطفه رابط الجأش رحب الصدر واسع الحيلة فلا يهتز لما يسمع من أحداث ، ولا يتأثر بما يبدو من صريضة من حركات بذيئة أو بما يسمعه منه من عبارات يفوه بها . وأن لا يأبه لغضب أو سخط أو نفور أو سب المريض له ، وإلا أفلت زمام التحليل من يده .

وليدكر المحلل أن عملية التحليل النفساني هي عملية تجريد المريض من أثوابه التنكيرية وإظهاره في صورته الحقيقية . . هي عملية كشف القناع عن العوامل الخفية المتأصلة في نفس المريض وعن الدوافع والميول المقيدة بقيود الفضيلة والشريعة وأحكام المجتمع . والأيماءات المختزنة في

العقل الباطن التي أوحى إليه بها الفير أو أوحاها هو لنفسه ، لتبرز من ورائه شخصية غير تلك الشخصية المصطنعة المصبوغة بصبغة زائفة . . . وفي هذه الأثناء يتعرض المحلل للعوامل السلبية المسماة في علم النفس بالتحويل السلبي . كما يتعرض للعوامل الإيجابية المسماة بالتحويل الإيجابي . وعلى المحلل في كلتا الحالتين أن يقابلها بمرونة ولباقة .

### التحويل السلبي

يظهر التحويل السلبي على هيئة كراهية يبديها المريض للمحلل أو تنفيذ لأقواله وتفسيراته أو تكذيب لاستنتاجاته ، أو اتهام له بالنصب والاحتيال أو سبه بمختلف السباب أو التهمك عليه أو التمسك فيه وفي نياته . وما كل هذه الأمور إلا مجرد أعراض للمرض ، يجب أن يقابلها المحلل كما يقابل الطبيب البشري سعال مريضه المصاب بالتهاب الرئوى ، فلا ينزعج لها ولا يتبرم بها ولا يفتضب من أجلها ، فهي أعراض لا يملك المريض القدرة على إخفاؤها .

### التحويل الإيجابي

التحويل الإيجابي هو الأكثر حدوثا . عاجلا أو آجلا . وهو يظهر في هيئة حب زائد وميل شديد يبديه المريض للمحلل ، سواء كان المريض ذكراً أو أنثى ، وعلى المحلل في هذه الحالة أن يقابل هذا التحويل بسعة الحيلة والكياسة والمرونة ، فلا يبدي نفورا أو امتعاضا ، ولا يقابل الظاهرة

بالتشجيع والإذعان ، وإلا أفلت زمام التحليل من يده .

ويجب أن يحتفظ المحلل طيلة عملية التحليل بالآتزان التام والاستقلال الشخصي ، ولذا يجدر به أن يجلس في أثناء التحليل بعيداً عن نظر المريض محاولاً أن لا يثمره بوجوده مع توجيه كل انتباهه إلى أقوال وحركات وإيماءات المريض . . . . وعندما تدعو الحاجة إلى التكلم ، فليكن حديثه في صورة صوت آت من بعيد يستحث المريض على مواصلة فض مكنوناته ويستفز العوامل الدفينة على الخروج من مكنها إلى العراء مكشوفة وجلية .

ويجب أن يستلقي المريض فوق مقعد مريح أو شيزلونج مريحاً كل أعضائه ، ومن ورائه يجلس المحلل على مسافة متر تقريباً متأهباً لتدوين ملاحظاته متوثباً للتشبث بأذيال ما يظهر من عقد حتى يخرجها من مكنها . وتنحصر مهمة المحلل في البحث والتنقيب في منطقة العقل الباطن عن العقد النفسية وتحديدتها . . . . ومتى اكتشف واحدة منها ، وجب أن يبينها ويشرحها للمريض وينبهه إليها كي تنتقل من منطقة العقل الباطن إلى منطقة العقل الواعي ، فتزول آثارها ويتلاشى مفهومها بإرشادات وتوجيهات المحلل .

وأهم شيء في التحليل النفساني هو أن يقنع المحلل مريضه بوجود التعاون معه ، والتزام الإخلاص التام والصدق والحرية المطلقة في كل أقواله وتصريحاته ، فلا يحاول — عن عمد — إخفاء أفكاره أو إبهام ألفاظه أو إعاقة أو تأخير عملية التحليل .

وليبيّن المحلل لمريضه أن ليس في علم النفس خطيئة أو رذيلة يدان عليها المريض أو يعاب من أجلها أو يقل قدره ، فهي أمور تسرى بحكم قوة لا يستطيع معها مقاومة لأنه يجهل مبعثها ، ولا يعلم كيف تقوّم وتهذب . . فلا يجب أن يشمر بأى غضاضة في الإدلاء بما يكون قد مر به من تجارب يستهجنها المجتمع ، فلو أن المجتمع عرف الحقيقة لهون من أحكامه ولذخر صاحب الرذيلة وغير نظراته إليه .

وللأسباب التي ذكرت ، ولما يتطلبه التحليل من صراحة ومصارحة ، فإن تحليل نفسية الأقارب والأصدقاء والمعارف غير مستطاع تقريباً إلا إذا كان المحلل قديراً جداً وواسع الخبرة والمران ، فهو إذ ذاك يستطيع مهاجمة المريض ومواجهته بحقائق مكبوتاته ، وهو على تمام الثقة ، دون حاجة إلى تمهيرات المريض عن نفسه . . . وعلى كل فإننا ننصح الممارسين للتحليل النفساني بالامتناع عن معالجة الأقارب والمعارف ، وبصفة خاصة الذين تجاوزوا سن الأربعين .

## وسائل التحليل

### الأحلام

تحليل الأحلام هو من أهم وسائل التحليل النفساني ، بل وأهل الأحلام هي أهم العناصر التي يمكن أن نستعين بها على إدارة دفة التحليل ؛ فالأحلام تبين لنا الاتجاه العقلي للمريض ، وتكشف عن ميوله الواعية واللاواعية ، وتشير من طرف خفي إلى ما به من عقد نفسية وما مر به من

أحداث منسية مما قد لا يتاح لنا الوصول إليها أو الكشف عنها بغير الرجوع إلى الأحلام ، فتحليل الأحلام هو من أهم مستلزمات التحليل أو المعالج النفسي ، فإذا ما أتقن دراستها وبذل مجهوداً صادقاً في استيعاب مغزى وعوامل وهيئات الأحلام سهلت عليه مهمة التحليل .

وكثيراً ما ساعدتني أحلام المريض على أن أقدم له الدليل الحاسم على أصل وحقيقة علته كما شخصتها له في البداية ، وأرغمته على التسليم بصحة نظريات علم النفس بعد أن لمس الحقيقة بنفسه .

فالأحلام من أهم أسلحة عملية التحليل ، وليست مهمة تحليل الأحلام بالمهمة الهينة ، بل هي مهمة عويصة ومعقدة تتطلب حكمة وخبرة وبعده نظر . أما إذا اكتفى في تحليلها وتفسيرها بالتحليل والتفسير السطحي فلن ينتهي العلاج بما يسر أو يرضى الطرفين .

ولقد كانت الأحلام موضع اهتمام الإنسان الفطري ، فكان كثير التعليق عليها والثقة بصحة رسالتها ، وكان يعرض أحلامه على الحكماء لتفسرها له . . هذا بينما استخف بها الإنسان الحديث واعتبرها مجرد هذيان ، وظل زمناً طويلاً لا يعيرها أى اهتمام حتى جاءنا ذلك الفيلسوف النفساني العظيم سيجموند فرويد ، فأبان للعالم أهميتها وأعاد لها مركزها القديم بعد أن نسقه ونظمه ، فجعل من الأحلام دراسة علمية واسعة مبنية على أسس قوية .

ومن المحتمل جداً ، أن تكون الأحلام هي مبعث ذلك الاعتقاد الشائع بين العامة القائل بأن للإنسان - خلاف جسمه - روحاً قائمة بذاتها .

فإنه قد كان الإنسان الفطري يرى نفسه في الأحلام متنقلاً بين مكان ومكان يقضى ليلاليه في الصيد والقنص أو المسامرة مع الأصدقاء والمعارف ، القريب منهم والبعيد . وكان يستيقظ في الصباح ذا كراً كل أو بعض ما حدث في الليل واثقاً من صحة ما حدث وثوقه من صحة عدم تحرك أو انتقال جسمه من مكانه أيضاً . فاستخلص من ذلك وجود شيء آخر باطني غير جسمه الخارجي وسماه الروح ، وأيقن أن هذا الروح هو الذي ينتقل ويتحرك ويتحدث في أوقات النوم .

ولما رأى الإنسان نفسه مخاطباً في نومه ومتعاملاً مع الأموات أيضاً ، اعتقد بأن الروح لا بد أن يكون أدياً لا يموت ولا ينقرض من الوجود . ولقد كان الاعتقاد السائد عن الأحلام — في العصور الأولى — بأنها إما بشير أو نذير ، بمعنى أنها كانت بمثابة رسالة روحية تنبئ بالمستقبل وتشير إلى ما ينتظر الإنسان من خير أو شر . ولا يزال نفس هذا الاعتقاد مسيطراً على عقول معظم الشعوب ، وبصفة خاصة الطبقات غير المثقفة .

ومن المحتمل أن تكون في بعض الأحلام رسالات إخبارية تنبئ بحدوث حدث لا يدري الخالم عنه شيئاً ، أو تشير إلى أمر مقبل ، ولكن حدوث مثل هذه الأحلام نادر جداً ، ولا يمكن الاعتماد عليها إطلاقاً ، كما لا يمكن اعتبار كل أحلامنا من هذا النوع . فالحقيقة أن كل أحلامنا — ماعدا القليل النادر — هي أحلام مصوغة من مكونات العقل الباطن مختلطة بحدوثات وذكريات اليوم السابق .

ولقد يدعو تحقق المغزى الظاهري لحلم من الأحلام ببعض الناس إلى الاعتقاد بأن الحلم كان حقاً بشيراً أو نذيراً . ولكن لو أننا أمعنا الفكر في نفس هذا الحلم ودرسناه وحللناه لانتضح لنا أنه حلم متمم للارغبة ، (وسيحيي الكلام عن هذا النوع من الأحلام) ولما منا أن صاحب هذا الحلم كانت له رغبة قوية في شيء معين ، وقد حققه له العقل الباطن في الحلم عاملاً على تهدئة خاطره . . . وأما أن موضع الحلم قد تحقق بالفعل ، فهذا يرجع إلى اتجاه عقل صاحب الحلم نفسه ، فقد كان دائم التفكير فيما يرجو ويتمنى ساعياً إلى تحقيق أغراضه سائراً في طريق هدفه . . . وبهذا التحفز وبهذه العوامل النفسية والاتجاه العقلي وصل إلى غايته المنشودة ، ولم يكن الحلم بشيراً . . . وإذا كان ما تحقق له بعد الحلم هو أمر بغيض ، فهذا لا يعني أكثر من أن اتجاهاته العقلية كانت تتجه إلى نفس الناحية ، كأن يكون خائفاً من حدوثها أو مترقباً لها أو حاكماً على نفسه بها .

وحتى ذلك الحلم التاريخي الذي ذكره جميعاً ، حلم يوسف الصديق الذي اعتبره العالم رؤياً بشرت يوسف بما ينتظره من مستقبل باهر ، لم يكن في الواقع كذلك ، بل كان حلماً متمماً لرغبة قوية كانت تجيش في صدر يوسف الطفل عندما كان يرى نفسه بين إخوته كجرو صغير يسخرون منه ويحاولون إرهابه ، ويكلفونه تكليف السيد للعبيد وهو المدلل من والديه كأصغر إخوته وأجملهم ، والمفضل عليهم . والشاعر في نفسه بميزته عليهم . فلقد نما الطفل يوسف وهو متشبع بروح الطموح متحفز للعلى راغب في السيطرة التامة .

أما حلمه الذي رأى فيه حزم القمح التي جمعها إخوته تنحني أمام حزمته التي جمعها هو ، فهو يشير إلى ما كان بنفسه من رغبة قوية في التفوق على إخوته الذين يهزأون به وإرغامهم على الخضوع له بدلا من خضوعه هو لهم .  
أما حلمه الثاني الذي رأى فيه الشمس والقمر يسجدان له فهو دليل أيضاً على رغبته في إخضاع والديه ، فالشمس في حلمه كانت تمثل الأب ، وكان القمر رمزاً للأم ، فهذه هي لغة العقل الباطن الاستعمارية . . . فالعقل الباطن إذ يخاطبنا فهو يخاطبنا بلغة الطبيعة وبالصور والتشيل ، وهي لغة السلالة والأقدمين ، فلقد كانت الرموز والصور الطبيعية هي الوسيلة الوحيدة للتعبير بها عن أفكارهم .

ولا زلنا إلى يومنا هذا نستعمل هذه اللغة في بعض أحداثنا وتصوير أفكارنا إذ نقول : فلانة شبة القمر . وكلام كأنه الشهد . وانقض كالساعة . ووديع كالجمل ، وقوى كالحصان ، وصبور كالجمل ، وراسخ كالجبل ، ولثيم كالشبان ، وواضح كالشمس في رابعة النهار . . الخ .  
ومن الطبيعي أن يدخل على الاستعمارية الفطرية القديمة استعمارات حديثة مستمدة من صور جديدة وهيئات حديثة ، فيستعمل العقل الباطن في التعبير الأدوات والأجهزة والحاجات الحديثة التي يعرفها ويستعملها الإنسان الحالي ، كالقطار والطائرة والراديو وما إلى ذلك .

ويمكن تقسيم الأحلام إلى ثلاثة أقسام هي كل ما ينفينا في التحليل النفساني ، وفي الأنواع الثلاثة ، لاي معنى العقل الباطن بما ينسجه من أحلام سوى تعزيز النوم ، حرصاً على النائم من القلق والتعب . . . ولكن

النسيج الذي ينسج منه الأحلام ، هو نفس مكونات العقل الباطن ،  
ومكوناته منسوجة في هيئة معقدة ومشبكة ومختلطة ومنسوجة بأحداث  
وذكرات متباعدة إمعاناً منه في الإخفاء لأمر يجب أن تظل خفية عن  
وعى النائم .

## تقسيم الأحلام

وأقسام الأحلام الثلاثة هي :

أولاً — أحلام تنشأ عن وجود بعض المزعجات في غرفة النائم أو بالتقرب  
منه ، أو عن وضع غير صريح للنائم أو فيه خطر عليه . . . فلنرى يعزز  
العقل الباطن نوم صاحبه ويحسول دون استيقاظه ، فهو يستنبط الحيل  
وينسج له حلماً مضمونه : أن النائم يسير في وسط حدائق غناء تغرد فيها  
الطيور بألحانها الشجية . . . وذلك تغطية من العقل الباطن ، وإخفاء لما  
يدور حول النائم من ضوضاء أو أصوات مزعجة ، وكأنه هنا يخاطب صاحبه  
قائلاً : نم يا صديقي ولا تقلق فما الأصوات التي تسمعهما سوى أغاني الطيور  
المنتشرة فوق غصون الأشجار التي تسير بينها .

أو أن يرى النائم نفسه صاعداً فوق جبل وعرة المسالك كثير  
الصخور محاولاً الوصول إلى قمته لمشاهدة المناظر الخلابة من فوقها ، وذلك  
تغطية من العقل الباطن ، وإخفاء للألم الذي يشعر به النائم من جراء  
ما بالوسادة التي ينام عليها من تحجر في حشوها . . . فكان العقل الباطن  
يخاطبه قائلاً : نم ولا تنزعج ، فما تشعر به من ألم أو تحجر وصلابة إن

هو إلا تلك الصخور القائمة على الجبل الذي تصهده للتمتع بمشاهدة المناظر الجميلة ، فتتحمل وستنال جزاءك .

أو أن يرى النائم نفسه في وسط بحر كتغطية على شعوره بالظما الشديد .  
وأما في حالات أوضاع النوم الخطرة ، فإن العقل الباطن يعمل على إيقاظ النائم حفظاً على حياته ، فينسج له حلمًا مزعجاً في هيئة كابوس فيرغمه على الاستيقاظ ليصلح من وضع نومه .

ثانياً — أحلام تنشأ عن ما يصادف الإنسان في نفس اليوم من مضايقات ... فقد يتضايق الإنسان في النهار من شخص لا يقوى عليه ، أو من رئيس متعجرف ، فيرى في الحلم هذا الشخص في هيئة حمار وحشى في حديقة الحيوانات يقذفه (الحالم) بالحصى والحجارة . . فكأن العقل الباطن يقول له : نم ولا تخش شيئاً ولا تزعج نفسك ، فهوذا الشخص الذي يضايقك ويخيفك ، حمار مقيد الخطا وسجين في قفصه فأشبهه ضرباً ولطماً واسترح .

أو قد يرى الإنسان نفسه في الحلم يسير مع أسد جنباً إلى جنب ، ويقصدان معاً مكاناً للنزهة والأسد يتبعه منقاداً ... فكأن العقل الباطن يقول له هوذا الأسد الخفيف ، قد صار كالحمل الأليف يتبعك أينما سرت ، وهالك رغبتك قد تحققت وتم لك ما تشتهى ، وغدا الوحش الذي تهابه وتخشى سطوته مخلوقاً وديعاً خاضعاً لك ، فتم ولا تزعج .

ثالثاً — أحلام تصنع من مكونات العقل الباطن ومكبواته والحوادث والمناظر والذكريات القديمة التي نسيها صاحبها نسياناً تاماً ،

فيخرج عنها العقل الباطن ويحل قيودها مؤقتاً تنفيساً له عما تسببه من ضغط شديد فتخرج هذه المكنونات بعد أن يتناولها الرقيب بالإصلاح « والمكياج » وبعد أن يلبسها زياً تنكرياً حتى لا يكون في بثها سبباً لانزعاج صاحبها بما تثير من ذكريات أليمة وميول دفيننة فيستيقظ . . . ويتمثل هذا النوع من الأحلام في مثل تلك التي يرى النائم نفسه فيها مخلقاً في الجو أو طائراً في أى مكان بأجنحة جدت له فخلق بها فوق المنازل والجبال ، وعبر بها الأنهر والبحار هازئاً وساخرًا بهؤلاء القوم الذين يمرون من تحته ويسهرون في بطاء ومشقة ، بينما يشق هو الأجواء في سرعة وسهولة مذهشة ، فصار في هذا الوضع ساخرًا بدلاً من مسخور منه ، ومتموقاً بدلاً من فاشل بطيء التقدم ، قوياً وقديراً بدلاً من الشعور بالنقص الذاتي .

أو أن يرى الإنسان نفسه مفازلاً أو مقبلاً أو محتضناً لإحدى المحرمات عليه كإخفاء أو تعديل وتلطيف لعقدة أديب .

أو أن يرى الإنسان شخصاً آخر في موقف مشين بدلاً من رؤية نفسه هو في هذا الموقف ، وهذا تخفيف لحدة ما بنفسه من ميول واتجاهات يلام عليها ولا يقرها المجتمع .

فعلى المحلل أن يطلب إلى مريضه الإدلاء إليه ببضعة أحلام من التي يذكرها وبخاصة تلك الأحلام المتكررة والمتشابهة ، ثم يضيف إليها ما سوف يقصه عليه المريض من أحلام كل يوم من تلقاء نفسه ، ويقوم بدراستها محاولاً إيجاد العامل المشترك في جملة الأحلام التي جمعها ، ونواحي اتجاه المريض العقلية ونوع مكبوتاته ، وليذكر ما قلناه على أن

العقل الباطن ينطق في صور ورموز شفرية ، فمثلا قد يخبره المريض بأنه رأى في أصبعه خاتماً جميلاً ، فالأصبع هنا يشير إلى عضو التناسل للذكر والخاتم إلى عضو تناسل الأنثى ، والحلم في مجموعته يشير إلى رغبة جنسية مكبوتة ولذا تمثلت في صورة فيها معنى التستر . . . وإذا فرضنا أن مالفت نظر المريض في الخاتم الذي رآه في حلمه هو نفسه ، دل ذلك على أن موضوع الرغبة هو آنسة ( بنت بكر ) فالقص هنا يمثل البكارة .  
وهناك رموز خاصة تظهر في الأحلام لا يعرف مغزاها ، ولا ما ترمز إليه سوى الحلم نفسه .

كما أن هناك رموز ملتقطة من وسط بعض حاجات أو هيئات كانت موجودة في ظرف معين أو حالة خاصة صرت بنفس الحلم ونسبها تماماً أو كتبها . . . ويمكن الوصول إلى حل تلك الرموز وتحليل الحلم بمهارة تسلسل الأفكار التي سنشرحها فيما بعد .

ولقد يزعم امرؤ بأنه لا يحلم إلا نادراً ، أو أنه لا يحلم البتة ، والحقيقة أن الأحلام لا تنقطع طيلة النوم ولا يقف سيلها ، فبمجرد وقوع الإنسان في حالة النوم تبدأ الأحلام حركتها ونشاطها ، ولا تقف حتى يستيقظ صاحبها . . . أما ما يزعمه البعض بأنه لا يحلم فهذا يعني أنه ينام نوماً عميقاً ولا يذكر أحلامه ، ولو طلبنا إلى مثل هذا الشخص محاولة تذكر أحلامه بعد أن نشرح له الحقيقة لبدأ بعد قليل في تذكرها أو تذكر بعضها .

وعلى المحلل ألا يقدم إطلاقاً على تفسير حلم واحد على حدة ، بل يجب أن يجمع عدة أحلام ويربطها ببعضها محاولاً إيجاد العامل المشترك كما قلنا .

## جمع المعلومات

على المحلل أن يتوغل في تاريخ وحوادث طفولة صريضة محاولاً إخراج الذكريات الدفينة ، التي طال عليها الأمد ، وأصبحت في عالم النسيان ، واستقرت في العقل الباطن . . .

وليبدأ معه بسؤاله عن أبعد الذكريات التي يستطيع تذكرها . . . ويستطيع بعض الناس تذكر أمور ومناظر صرت بهم ، وهم في السنة الأولى من عمرهم . . . فعلى المحلل أن يبدأ مع صريضة في جمع المعلومات على أساس أنه يستطيع تذكر ما صر به أو بعض ما صر به ، وهو ابن أشهر ، فيسأله عن مكان ولادته ويطلب إليه تخيل هذا المكان ووصفه ، ومن عساه يذكر من أشخاص وهيئات ومناظر ، وأي البلاد قد زارها أو انتقل إليها أو صر بها ، وعن صربيته وكيفية نشأته ، وعن معاملة أهله وذويه له ، وعن مبلغ علاقته بأخوته وشعوره نحوهم وبصفة خاصة نحو الأصغر منهم . . . وبالإجمال عن كل ما يستطيع الحصول عليه من معلومات وذكريات للطفولة . فمن المحتمل جداً ، بل ولا بد ، أن تثير هذه الأسئلة ذكريات لها شأنها في موضوع التحليل والكشف عن العقد . . . ويستطيع المحلل منها أن يعين ويحدد بالتقريب اتجاه سير الخطوة التحليلية التالية ، خطوة تسلسل الأفكار التي سندكرها .

وعلى المحلل أن يبذل جهده في ربط الوقائع والتواريخ ببعضها ، بعد أن يلتقط كلمة من هنا وجملة من هناك محاولاً ملء الفراغ الذي يقع بين فترة وفترة أو مكان ومكان أو حدث وحدث .

وليذكر المجال أن أهم العوامل الفعالة المؤدية إلى تكوين العقد النفسية والاضطرابات العصبية ، هي تلك العوامل التي تمر بالإنسان من ساعة مولده حتى سن السادسة ، حيث يكون العقل الباطن هو العقل العامل ، وحيث لا يكون العقل الواعي قد تم نشاطه إذ يكون المنح في طريق النمو والنضج . . . فالطفل يظل يعمل بقوى العقل الباطن وحده حتى سن الخامسة أو السادسة ، وبعد ذلك يتدرج في استعمال العقل الواعي رويداً رويداً ، حتى إذا وصل إلى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يكون المنح قد تم نموه فيكمل نشاط العقل الواعي ، ويصبح هو العقل العامل ظاهرياً ، ومن ورائه يعمل العقل الباطن ويسير متخفياً غير مدرك .

### تسلسل الأفكار

النظرية المبنى عليها تحليل النفسية بطريقة تسلسل الأفكار ، هي نظرية « ترابط الأفكار » ، وهي تعنى أن كل فكرة أو صورة أو هيئة أو حالة تنطبع في العقل الباطن مشتركة أو مرتبطة بفكرة أو صورة أو هيئة أو حالة أخرى . . . فمثلاً إذا قلت لك « بحر » فإنك تذكر في الحال المراكب . . . وإذا قلت لك « جامع » أو كنيسة ، ذكرت الصلاة أو القس أو الأمام . . . وإذا قلت لك « زرع » ذكرت اللون الأخضر وإذا قلت لك « فنجان » ذكرت القهوة أو الشاي . . . وهلم جراً ، والمهم في هذه الناحية أن ما تشير الكلمة أو الفكرة في ذهنك من ذكرى هي الأشياء المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً في عقلك أنت ؛ فقد يجابو شخصاً على

كلمة « كأس » بكلمة خمر ، ويجاوب آخر عليها بكلمة دواء . وقد تذكر  
كلمة « أحمر » شخصاً بفستان كانت تلبسه حبيبته أو صديقته ، بينما تذكر  
آخر بالدماء ، فكل يتجاوب بما يقوم في نفسه مترابطاً مع الكلمة  
أو الفكرة المثيرة .

هذا هو ترابط الأفكار ، فالمرء لا يستطيع أن يفكر في شيء معين  
دون أن يصحبه تفكير في شيء آخر ملازم له ومترابط معه .  
وفي عملية التحليل بتسلسل الأفكار ينتقل المريض من فكرة إلى  
فكرة ، ومن هيئة إلى هيئة مترابطة معها . فهذا يذكره بذلك ، وذلك  
يذكره بذلك ، وهلم جرّاً .

وعلى المحلل عند الشروع في التحليل النفساني بهذه الطريقة ، أن  
يبدأ أولاً بتوجيه المريض إلى التفكير في الموضوع الأكثر أهمية بالنسبة  
له ، فيبدأ المريض حديثه ، وكأنه حديث عرضي جاء كيفما اتفق غير باذل  
أى مجهود في محاولة الإدلاء بشيء معين ، فيزعم أن ما يعنيه هو العمل  
— مثلاً — وبمجرد ذكر كلمة عمل جاءت إلى فكره الصورة أو الهيئة أو  
الظروف أو الشخصية المترابطة مع كلمة عمل ، فيفكر مثلاً في زميله الذي  
يجاوره في مكتبه أو غرفة العمل ، ويذكر ما عليه من طباع جميلة  
وما يؤديه له من معونة ، أو أنه يذكر مثلاً النزاع القائم بينه وبين أحد  
الزملاء أو القسوة وسوء المعاملة التي يلقاها من الرئيس أو كثرة ما يعانیه  
من مشقة في العمل وما يلحقه من غبن وظلم . . . وبالإجمال فإن أفكاره  
تتسلسل في النواحي الأكثر تأثيراً عليه .

ويستمر المريض في التسلسل والانتقال من فكرة إلى فكرة حتى يصل إلى نقطة حدث فيها كبت يكره ذكره وتذكره ، فيقف عن الاسترسال في الكشف عن مكنوناته ؛ ذلك لأن الإنسان يميل بطبيعته إلى نسيان الأمور البغيضة ، التي لا يود أو لا يجرؤ على ذكرها ، فيحاول المريض استبعادها .

ففي اللحظة التي يتوقف فيها المريض عن الاسترسال في التفكير مدعياً بأنه لم يعد لديه ما يفكر فيه . . فليتنبه المحلل عند النقطة التي وقف عندها ، فمن هناك تبدأ أحداث إحدى العقد ، وليتشبث بها ويشبثها في صفحة المريض . ثم يستوضحه سبب التوقف ويحثه على معاودة التفكير من حيث وقف مؤكداً له حدوث حدث ما في تلك الآونة أو في ذلك المكان أو ما يماثله ، وأنه لا بد أن يكون هنالك أمر بغيض حدث في الظرف الذي توقف فيه أو أمر يرتبط بالنقطة التي وقف عندها .

وإذا لم تحل العقدة وتنطلق إلى عقله الواعي ، فليرجع به المحلل إلى نفس النقطة التي توقف عندها مرة ثانية وثالثة غير منخدع بما يدعيه المريض من عدم وجود ما يذكره ، فلا بد أن يكون لترققه هذا سبب . . فهناك نقطة هامة تتطلب البحث والدراسة .

### الحركات اللاإرادية

يجب أن يكون المحلل متيقظاً تيقظاً تاماً ، لكل حركة أو إيحاء لاإرادية تصدر من مريضه في أثناء عملية التحليل ، فكثيراً ما يكون

لذا كريات التي يذكرها ، أو الألفاظ التي يفوه بها أو يسحبها من الحلال ،  
صدي خاص في نفسه ، فتشير حركة انعكاسية مترابطة مع الفكرة الطارئة  
أو الكلمة المسموعة . . فمثل هذه الحركات أهمية كبرى كفتاح إلى  
أبواب التحليل ، ولو أن الحلال درسها دراسة دقيقة لوجد أنها حركة  
رمزية تشير إلى إحدى العقدة أو إلى إحدى مكبوتات العقل الباطن التي  
تتطلب التنفيذ عنها .

فمثلا قد يجد الحلال أن المريض قد انتفض عند ذكر نقطة ما ، مع أنه  
لم يذكر شيئاً مزمعاً ، ثم يستمر المريض على الاسترسال في تفكيره وحديثه  
دون أن يذكر شيئاً يبرر هذه الحركة اللاإرادية التي صدرت منه .  
ففي هذه الحالة يجب أن يبصر الحلال على عدم ترك النقطة التي ارتجف  
عندها المريض حتى يذكر ما يعبر عنها .

أو قد يجد الحلال أن يد صريضة قد اتجهت إلى ناحية عضو التناسل  
في شكل واضح بينما هو مسترسل في أفكار خالية من الحوادث أو  
الذكريات الجنسية ، مما يدل على أن ههناك حادثاً جنسياً مرتبطاً بكلمة  
أو اسم صورة مما كان يفكر فيه عند إتيان الحركة اللاإرادية المذكورة .  
فيجب أن يعيده الحلال إلى إعادة التأمل والتفكير في نفس النقطة حتى  
يخرج مكبوتاتها التي تفسر معنى الحركة التي صدرت منه .

ومن الطبيعي أنه لا يجب أن يعين الحلال لمريضه — في مثل هذه  
الحالة — أسباب تمسكه بهذه النقطة أو تلك ، وإلا تيقظ المريض لنفسه  
وحاول مراقبة حركات نفسه فتضيع الفرص .

## اختبار مفعول الكلمة

التحليل النفسى بطريقة اختبار الكلمة ، هى الطريقة التى يفضلها  
يونج ويؤثر استعمالها على غيرها . . . ولكننا ننصح الممارسين للتحليل  
النفسى ، بالبدء فى تحليلهم بطريقة تسلسل الأفكار والاستمرار فيها ،  
لبضعة أسابيع ينتقل بعدها إلى طريقة اختبار الكلمة .

والمقصود باختبار الكلمة ، هو اختبار مفعول الكلمة فى نفس  
المريض وما تثيره فيه من رد فعل وإحياء ذكريات ، فهى مبنية على  
أساس نظرية ترابط الأفكار التى شرحناها .

وتتطلب هذه الطريقة إعداد كشف يحوى حوالى مائة كلمة يدخل  
ضمنها تلك الكلمات التى يرى المحلل أنها تتفق مع أعراض المرض واتجاه  
عقل المريض وبيئته التى نشأ فيها . . .

ثم يطلب المحلل إلى مريضه ، أن يجاوبه على كل كلمة يسمعا بكلمة  
أخرى دون تفكير ومن غير توقف . . . ثم يلفظ المحلل كلمته فى هدوء  
ووضوح ، فيرد عليه المريض بكلمة لا بد أن تكون هى الكلمة المترابطة  
مع كلمة المحلل ، فيعرف بها أى أثر تترك كلمته فى نفس مريضه .

وعلى المحلل أن لا يعطى مريضه سوى فرصة ضئيلة للرد على كلمته .  
فرصة لا تتجاوز خمس ثوان ، فإذا تأخر المريض فى الرد أو توقف كلية ،  
كان ذلك دليلاً على وجود عقدة مترابطة مع الكلمة التى سمعا . . .

فتوقف المريض عن الرد هو دليل على وجود فكر دفين نسيه نسياناً  
تاماً . كحادثة مؤلمة أو ذكرى بغيضة حاولت الخروج إلى العقل الواعى

والكشف عن نفسها ، ولكن منعهما العقل الباطن ودفع بها إلى الأعماق ، أو وجود فكرة يعيها ، ولكنه يكتسها ولا يستطيع إباحتها لما فيها من غضاضة عليه .

وسيجد المحلل أن لبعض الكلمات صدى جميلاً في نفس المريض ، بينما يجد أن لبعض كلمات أخرى صدى سيئاً . . . فلقد يجاب على كلمة « حديقة حيوانات » — مثلاً — بذكر القرود والأعبيها المسلمية المبهجة أو بذكر العقارب والحيات ، أو قد يقابل كلمة « مدرسة » بتقطيب الجبين وكلمة نفور أو يقابلها بالانشراح وكلمة (علم) مثلاً .

فمن ردود المريض وإيماءاته يدرك المحلل اتجاهات عقله وطبيعة نفسه . فعلى المحلل ، عندما يشك في ناحية ، أن يضرب على وترها الحساس فيعيد نفس الكلمة أو مترادفاتهما بين حين وحين ليتثبت من اتجاهات وميول وعقلية مريضه . ومتى حدد اتجاهاته ورأى أنها تستوجب التقويم أو الإرشاد أو التنظيم ، فعليه أن يوجهه ويرشده إلى طرق إصلاحها .

### مدة التحليل

تستغرق عملية التحليل حوالي ثلاثة أشهر في الحالات العادية ، ولكنها كثيراً ما تمتد إلى سنة وأكثر من سنة في الحالات المتقدمة والحالات الشديدة .

وتجرى عملية التحليل خمس مرات أو ستاً في الأسبوع ، وتستغرق الجلسة الواحدة مدة ساعة .

## المقدمة النفسية

المقدمة النفسية هي ارتباط لاواعٍ بين فكرة وفكرة أو بين فكرة ومنظر ، أو بين فكرة وحاجة ، أو بين حالة وظرف ، أو بين حدث وحالة اشتركا معا في ظرف واحد أو مكان واحد .

ولسكى نزيد نظرية الترابط إيضاحاً نسوق لك إحدى التجارب العملية التي أجريت لإثبات النظرية .

جاء بكاب وثقبت معدته وأدخل فيها أمبوبة اختبار ، وقدمت له وجبة يومية في ساعة محددة مكونة من قطعة لحم مشوى مثير للشهية ، وفي نفس الوقت الذي كانت تقدم له فيه قطعة اللحم كان هنالك ناقوس يدق ، أعني أن دق الناقوس ومناولة الطعام للكاب كانا يجريان في وقت واحد ، وكان من الطبيعي أن تسيل العصارة المعدية في الأنبوبة عندما يشرع الكاب في مضغ قطعة اللحم . . . واستمرت التجربة على هذه الحالة أسبوعين ، حتى تمكن الارتباط بين الأكل ورنين الجرس . . . وفي نهاية المدة دق الناقوس في ساعة معينة دون أن يصحبه تقديم الطعام ، فسالت العصارة المعدية وتدفقت في الأمبوبة .

فهذا هو الترابط ، فلقد اعتاد الكاب سماع رنين الجرس في نفس الوقت الذي يقدم له فيه الأكل ، فارتبطت بذلك العصارة المعدية التي تفرز عادة وقت المضغ لمساعدة الهضم برنين الجرس ، فكان هذا الرنين وحده كافياً لإثارة الحالة والشعور الذي ينتاب الكاب في حالة الأكل .

## التحويل

متى اكتشف المحلل العقدة النفسية ، أو بمعنى آخر ، متى لمس موضوعها ، انطلقت قوى العقل الباطن المكبوتة وتحررت من قيودها ، وطاحت بمن يقف في طريقها باحثة لنفسها عن هدف آخر تتمثل فيه أو تتحول إليه . . . ولما كان المحلل هو أقرب الأهداف أمامها ، فإنها تتجه إليه وتتركز فيه .

ولقد يستاء المريض من عملية التحليل المزعجة التي تكشف عن خفاياه وتخرج مكنوناته ومكبوتاته ، وتفضح أسراره الباطنية ، وتحول بينه وبين تستره وراء الأمراض العصبية — فتنتطق الطاقة المكبوتة وتبرز في هيئة كراهية مرة المحلل أو المعالج النفساني ، وهي كراهية لا مسوغ لها ، فيعتمد المريض إلى إعاقة أو تعطيل الشفاء بكل الوسائل السلبية ، على اعتبار أنه لو تم له الشفاء على يد هذا المحلل لاستحق الثناء والإعجاب ولما كان المحلل اعتباراً وأهميته ، وهو (المريض) لا يريد ذلك ، لا يريد أن يفوز المحلل بالتقدير والفخر — لأنه يكرهه حالياً .

ويسمى هذا النوع من التحويل بالتحويل السلبي ، وقد يتطور هذا التحويل أحياناً تطوراً خطيراً ، إذ قد تدعى عليه سيده أو آنسة بأنه تصرف معها تصرفاً مشيناً أو مخلاً بالشرف ، أو قد تحاول الحط من كرامته والتشفيع عليه بمختلف الإدعاءات .

وقد يتخذ التحويل وجهة إيجابية ، وهو بطبيعة الحال ، اتجاه أسلم عاقبة على المحلل وأخف وقعاً ، ولذا كان من أهم واجبات المحلل أن يحاول

تغيير اتجاه التحويل السلبى إلى الناحية الإيجابية تفاديا للمتاعب والأخطار ،  
وحتى لا تتعقد عملية التحليل والشفاء . . . ولكن فلتكن محاولة الحلال فى  
توجيه التحويل إلى الناحية الإيجابية محصورة فى ربط القوة المنطلقة  
بشخصه فى صورة إعجاب وتقدير مؤقت ومتزن . . . وليذكر الحلال أن  
هذه المحاولة ليست بالمهمة اليسيرة ، ولكنها مهمة عسيرة تتطلب اللباقة  
والمرونة وسعة الخيلة وطول الأناة حتى يمكن أن تنتهى مأمورية التحليل  
والعلاج بسلام وعلى أكل وجهه ، وينصرف المريض وهو لا يكن لطيبه  
سوى الاحترام والتقدير .

وأهم ما يجب أن يكون الحلال مستعداً له هو ملاقاته المقاومة والتحويل  
بكلتا وجهتيه بحكمة بالغة وصبر طويل .

## التسالى

والآن ننتقل إلى مرحلة العلاج الشافى الذى يجب أن يختم به  
الحلال علاجه .

يحسن أن أنبه القارىء هنا إلى الزعم الخاطى ، الذى يزعمه الكثيرون  
من المحللين النفسانيين ، وهو زعمهم بأن مجرد اكتشاف العقدة النفسية  
وشرح أطوارها ومنعولها للمريض ، وكيف كانت هذه العقدة مبعث العيلة ،  
يكفى لتجريد الطاقة المكبوتة من قوتها وإحداث الشفاء التام . . . . .  
حقاً أنه كثيراً ما تتبخر العقدة بمجرد اكتشافها وإخراجها من مكانها ، ويتم  
الشفاء فى بعض الحالات . . . . . ولكن هنالك حالات أعم وأوسع انتشاراً .

تتطلب الذهاب إلى أبعد من مجرد تعيين وحل العقدة وشرحها .  
فاكتشاف العقدة وحل قيودها هي خطوة أولى يجب أن تتبعها خطوة  
ثانية لها أهميتها وهي خطوة التماسي ، أو السمو بالقوة المنطقة . والتي  
كثيراً ما تتركز في شخص المحلل متحولة من باطن صاحبها إليه .

فإذا انصرف الشخص المعالج عند نقطة التحول ، ولم تتبعها خطوة  
الأسماء أو التماسي ؛ انصرف تاركاً القوة المحررة مركزة في شخص المحلل  
فيظل متعلقاً به أو مغرماً ... وهذه حالة لا تنفع المحلل في شيء ، كما أنها  
لا تعدل من حالة المعالج ، لأنها تحد من حريته وتصرفاته وتجعله على شيء  
كثير أو قليل من الارتباك . كما أن العلاقة نفسها في تلك الحالة تعد غير  
طبيعية البتة . وفي كل هذا ضرر بليغ على المعالج .

والواجب يقضي على المحلل بجمع القوى المحررة التي تركت مركزة  
في شخصه وتوجيه المعالج بها إلى النواحي الإنشائية والاجتماعية النافعة  
والمشروعة ... وعليه أن يحاول معرفة نواحي النشاط الاجتماعي الذي  
يميل إليه مريضه أو عنده استعداد لها أو النواحي التي يجب أن يعنى بها  
مريضه ويهتم فيوجهه إليها ويعاونه على سلوك طريقها ويرشده إلى أحسن  
الوسائل وأساليبها حتى يستغل في هذه النواحي كل القوى المحررة استفلا لا  
نافعاً وسليماً ... فمثلاً يستطيع أن يوجه الرجل إلى الاهتمام بأعماله والسعي  
على تحسينها وتنظيمها ، والعمل على توسيع ثقافته ودائرة معارفه وأصدقائه  
وتعيين أهداف المستقبل يسعى إليها ببذل الجهود السليمة الصادقة .

كما يمكنه أن يوجه السيدة المتزوجة مثلاً إلى وجوب الاهتمام بتربية

أطفالها تربية تسمو من الفرائز الوراثية وتصونهم من الطلل العصبية  
والنفسية . ووجوب الاخلاص والوفاء لزوجها وتنمية العلاقات الاجتماعية  
على أساس من حب التعاون والمساهمة في أمور الحياة وتعيين هواية خاصة  
تصرف فيها أوقات الفراغ ... وبالإجمال ، يجب على المحلل أن يزود  
مريضه بكل ما يستطيع من إرشادات حكيمة ويرسم له خططا مجددة  
يستنفذ فيها نشاط القوى التي أفرج عنها . . وبهذا فقط يكون المحلل  
قد قام بواجبه خير قيام .